﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان

(من كنوز الجنة)

بتاريخ [٢٧-٩-٢٠١٤]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (من كنوز الجنة).

الخطبة الأولى:

السلام ورحمة الله وبركاته، بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فلا نحرم أنفسنا، ولا إخواننا من تذكيرٍ بشيء من كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وشيءٍ من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فأُذكر نفسي، وأُذكر إخواني بشيءٍ من الوحيين سائلًا الله القبول، ولا يخفى عليكم أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قال: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فكان لزامًا لمريد رفعة الدرجات أن يتعلم كتاب الله ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وأن يتعلم كذلك من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وأُذكر أولًا بحديثٍ من أحاديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع بيان معناه، ألا وهو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: «يا أبا موسى، ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة، قال: بلى يا رسول الله، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة». عن صحابي الحديث هو أبو موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- فهو صحابيٌ أوتي صوتًا حسنًا جميلًا في تلاوته للكتاب العزيز، والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال له: «يا أبا موسى لو رأيتني وأنا استمع إليك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داوود». كان حسن الصوت بالقرآن جدًا، ويستحب من ثم تحسين الصوت بالقرآن، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «زينوا القرآن بأصواتكم». وقال: «ما أذن الله لشيءٍ». يعني ما استمع الله لشيءٍ، «ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به». هذا عن أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- وهو من الذين هاجروا الهجرة الأولى

إلى الحبشة، والهجرة الثانية إلى المدينة، واسمه عبدالله بن قيس، قال: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا أبا موسى، هل أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة؟».

في طرح السؤال لتأهيل المخاطب للاستماع، فهذا أسلوب من أساليب الخطاب، أن تلفت نظر، وتجذب سمع السامع لك بطرح سؤالٍ عليه، كما قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يا أُبي بن كعب أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ قال: يا رسول الله آية الكرسي، فضرب النبي بيده في صدره، وقال: ليهنك العلم أبا المنذر». وقد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للقرشيين: «أرأيتكم لو أن عدوًا وراء هذا الجبل، يريد غزوكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبًا قط». طرح عليهم سؤالًا تمهيديًا، ثم قال لهم : فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

فالحاصل: أن من أساليب الخطاب، أن تقدم الخطاب أحيانًا بما يلفت نظر المجتمعين، كما تأتي لطفل صغير تقول تعال أقول لك حاجة حلوة، يستمع وينصت، أقول لك خبرًا سارًا، فيستمع ويُنصت ثم تطرح عليه ما تريد «قال: بلى يا رسول الله، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنزٌ من كنوزٌ الجنة». ما معنى لا حول ولا إلا بالله؟ إن معناها طيبٌ وفي غاية من الحسن، لا حول لا تحول، لا تَحول لشيءٍ عن شيءٍ إلا إذا حوله الله، ولا قوة لشيءٍ على شيءٍ، إلا إذا قواه الله، هذا إجمالًا، (لا حول)،لا تحول لشيءٍ عن شيءٍ، إلا إذا حوله الله، (ولا قوة) لشيءٍ على شيءٍ إلا إذا قواه الله، فهذا إجمالًا، وتفصيلًا: لا تحول لشخصٍ من طاعةٍ إلى معصيةٍ إلا إذا حوله الله، ولا تحول له عن معصيةٍ إلى طاعةٍ إلا إذا حوله الله، ولذلك قال الصديق يوسف -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣]. أي يميل قلبي إليهن، أو أميل إليهن ﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]. فلن ينصرف قلب يوسف، أو لن ينصرف يوسف، أو لن ينصرف كيد النسوة عن يوسف إلا إذا صرفه الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- فلا تحول لعدوك عنك إلا إذا حوله الله، قال -تعالى-: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ

عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]. وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]. لا تحول لشخصٍ عن وظيفته إلا إذا حوله الله، فلن يستطيع شخصٌ أن يقيل شخصًا من منصبه إلا إذا أقاله الله، كما قال –تعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)﴾ [آل عمران: ٢٦].

لن يستطيع مديرك في العمل أن يفصلك ويحولك عن العمل، إلا إذا أراد الله ذلك، لن يتحول جار السوء عنك بأذاه، إلا إذا حوله الله، إذا كان ثم شابٌ يحب فتاة لن يتحول عن حبها إلا إذا حوله الله، ولعله مر على مسامعكم أن شاعرًا من الماجنين كان يحب امرأةً سوداء، والناس يلومونه، لما تحب هذه سوداء، كارته، فاطسه كل العيوب فيها، فقال لهم:

أحببت لحبها السودان حتى ... حببت لحبها سود الكلاب

هي سوداء فأحب كل شيء أسود، بسبب محبوبته السوداء، فمن الذي جعله كذلك؟ لا يستطيع أبدًا أن يتحول إلا إذا حوله الله –سُبْحَانه وَتَعَالَى-، فلا تحول لشخص من طاعة إلى معصية إلا إذا حوله الله، ولا تحول لك عن وظيفتك إلا إذا حولك الله، لك جار سوءٌ لن يتحول عنك إلا إذا حوله الله، مدرسٌ ظالمٌ لن يتحول إلا إذا حوله الله، فهكذا دومًا لا تحول لشيءٍ عن شيء إلا إذا حوله الله، وكذلك لا قوة لشيء على فعل شيءٍ إلا إذا قواه الله، فأنا أريد صلاة الليل، لكن لن أستطيع أن أقوى عليها، إلا إذا قواني الله، ولذلك قال الصالحون كسليمان –عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]. فلن يستطيع سليمان أن يقدم شكرًا، إلا إذا أعانه الله –سُبْحَانه– لن يستطيع عبدٌ أن يصلي، إلا إذا أعانه الله، قال الخليل –عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠)﴾ [إبراهيم: ٤٠]. وإذا كان

الخليل تحول عن عبادة الأصنام، لكن لا يثبت إلا إذا ثبته الله، فلذا قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. خاف سيدنا إبراهيم الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- على نفسه، أن يتحول لعابد وثن، فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾. وخشي أن يتحول إلى الشرك فقال: ﴿ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الأنعام: ٨٠]. أنا لا أخشى من أصنامكم ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الأنعام: ٨٠]. يعني إذا شاء الله أن أخاف منها، سأخاف منها.

فلا قوة لشيء على شيء إلا إذا قواه الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- كذلك لا قوة للقنبلة على الانفجار، إلا إذا قواها الله، لا قوة لأي صانعٍ على صنعته، إلا إذا قواه الله، لا قوة لطبيبٍ على اكتشاف المرض والداء، إلا إذا قواه الله، ولا قوة له على تشخيص الدواء، إلا إذا قواه الله، لا قوة لشخصٍ على حفظ القرآن إلا إذا قواه الله، ولذلك قال الله -تعالى- لنبيه محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)﴾ [القيامة: ١٧]. وقد تحفظ القرآن وتتقن وتأتي عند المسابقة، التي استمع إليها الأبطال والأفزاز من كل مكان، وأنت من أتقنهم وتفشل، لماذا؟ لأن عقلك يملكه الله ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ [القيامة: ١٩]. ممكن تحفظ ولا تستطيع أن تُبين، ولا تستطيع أن تُسمع للناس الذي حفظته، لا قوة للمرأة في البيت على الطهي ونظافة البيت، إلا إذا قواها الله، لذا شُرع لنا الاستعاذة من الكسل، الاستعاذة من العجز، «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل». العجز الداء الذي في البدن قد تكون مشلولًا -عِيَاذًا بِاللهِ- كثيرًا، أصبت ببرد، كل هذا يعجزك عن فعلِ ما تريد من الخيرًات، فهذا شيءٌ في جبلتك، والكسل قد تكون سويًا وقويًا وبدينًا، ولكن كسلان، قم يا أخي اذهب ذاكر كسلان، فلذا جاء التعوذ بالله من العجز، الذي هو ملازم للشخص، والكسل الذي يعتري الشخص، لا انصراف للهموم ولا تحول للهموم عنك ولا الغموم، إلا إذا حولها الله، فأنت جالس كئيب حزين مغموم، لن يتحول عنك هذا الغم إلا إذا حوله ربنا -سُبْحَانه وَتَعَالَى-.

«قال سعيد بن المسيب بن حزم، جاء جدي إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسأله النبي ما اسمك؟ قال اسمي حزم أو حزن، قال: بل أنت سهل، نُغير اسمك إلى سهل، قال: لا أغير اسمًا سمانيه أبي، قال سعيدٌ: فما زالت الحزونة فينا». الحزن ملازم لنا لا ينصرف عنا، فلن ينصرف عنك الحزن، إلا إذا صرفه ربك -سُبْحَانه وَتَعَالَى- ولن تأت ليك الابتسامة وتقوى على الضحك، إلا بالله ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣)﴾ [النجم: ٤٣]. لا قوة لك على أداء الاختبار، إلا إذا قواك الله، حتى المرأة في البيت التي تطبخ تطهي، لا تستطيع أن تطبخ إلا إذا أعانها ربها -سُبْحَانه وَتَعَالَى-، وكذلك المعلم لا يستطيع أن يشرح للناس الدرس، إلا إذا أعانه الله.

عموم الطاعات لن تقوى عليها، إلا إذا قواك الله، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعاذ: «يا معاذ والله إني أحبك، لا تدعن دبر كل صلاةٍ، أن تقول: ربِ أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك». فلن تعان على الذكر، إلا إذا أعانك الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- فكلمةُ: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، عامة وجامعة، فكل شيءٌ يجري في هذا الكون يجري بإذن الله، الطالب يأتي يمسك الكتاب، ممكن يذاكر ويتقن المذاكرة، لكن كل ذلك بإذن الله، قد تراه يترك الكتاب وينفر، يا أخي أنا ما مستطيع أذاكر، أنا ما مستطيع أقبل على الكتاب، من الذي صرفه؟ الله، يعني بالأمس القريب معنا شاب هو الأول على كلية الطب كل سنة، وجاء هذه السنة، رافض يمسك الكتاب، يا أخي ذاكر الامتحانات قربت، أجل مادة؟ قال لا رافض كله، من الذي صرفه؟ إنه الله، من الذي يأتي به؟ هو الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى-.

فمعنى قوله: لا حول، أي لا تحول ولا قوة إلا بالله، معنىً جامع يدخل فيه كل شيء، يدخل فيه كل شيء، تحولك عن المعصية، تحولك عن المحبة، تحولك عن الأذى، تحول المرض عنك، تحولك عن المرض، كل ذلك بإذن الله، لذا ولغيره كانت كلمة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، المتضمنة لاستسلام العبد لله، كانت هذه الكلمة من

أنفع الكلمات ومن أثوب الكلمات، وهي كنزٌ من كنوز الجنة، كما قال الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا عن شيءٍ من الحديث ويتعلق به قوله -تعالى- في كتابه الكريم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤]. من التحول أيضًا، كيف ما معنى ﴿اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾؟.

قد تقف عند هذه الآية، فهي من الآيات الدالة على قدرة الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾. حاصل المعنى قلبك الذي في صدرك، أنت لا تستطيع أن تتحكم فيه، قلبك وهو في صدرك أنت لا تستطيع أن تتحكم فيه، هل تستطيع أن تكره شخصًا بإرادتك؟ أو تستطيع أن تنزع حب شخصٍ من قلبك بإرادتك؟ لا تستطيع، أشهدكم جميعًا على أنفسكم، أنتم والحمد لله مسلمون، هل منكم واحد يستطيع من قلبه أن يسب ربه؟ لا يمكن أبدًا، ليس بقدرتك، لكن الله -سُبْحَانه- حال بينك وبين قلبك، أيضًا إذا انتقلت للكافر، تقول له قل من قلبك: لا إله إلا الله، كيف هذا؟ لا لا يستطيع، بل يتعجب، كما قال -تعالى- في شأنها الكفر ومقولتهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾ [ص: ٥]. فلذا ولما كان القلب أمره إلى الله، لزمنا أن نسأل الله أن يصلحه، ولذا كان من السلف من يقول: «اللهم أصلح لي قلبي». وكان الرسول يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك». فهذا كله؛ لأن القلوب يملك أمرها، ربنا -سُبْحَانه وَتَعَالَى-.

أما الآيات التي يراد تناولها من كتاب الله، وعلى وجه السرعة هي قوله -تعالى-: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ [نوح: ١٤]. ما معنى قوله -تعالى-: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؟؛ لأن فيه دلالة على عظمة الله، وقدرة الله، ووحدانية الله، قيل أطوارًا في عدة أقوال، القول الأول: بيان رحلتك في الحياة يا ابن آدم، فما أنت؟ ما أصلك؟ وإلى ماذا تنتهي؟ لا بد أن تفكر في هذا، إذ الله قال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾ [الذاريات: ٢١]. من أنت؟ ماذا كنت؟ وإلى ماذا ستنتهي؟ حتى لا تغتر، ولا تتكبر، ولا تتعالى، من

أنت؟ وإلى ماذا ستنتهي؟ أنت نطفة في الأصل ﴿نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى﴾ [القيامة: ٣٧]. أنت إذا كنت بالغًا وخرجت منك هذه النطفة تتقزز منها، إذا أصابت ثيابك أنت تغسلها، وتمسحها وتشمئز منها، هذه النطفة كنت أنت منها، سواءًا كنت شابًا وسيمًا، أو كانت فتاة حسناء في غاية الجمال، أصلها هذا، كل الخلق أصلهم هذا ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]. بعض ماء المرأة مع مني الرجل أنت تتقزز منها إذا رأيتها، سواءً الماء الخارج من المرأة، أو الماء الخارج من الرجل، أنت تتقزز منه، لكن هذا أصلك ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧)﴾ [القيامة: ٣٧]. بعد ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨)﴾ [القيامة: ٣٨]. وكما قال -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]. أي: أبوكم آدم من تراب، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٥]. تعلقت بجدار الرحم ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ [الحج: ٥]. أصبحت قطعة لحم ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]. ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ [المؤمنون: ١٤]. أصبح فيها بعض العظام الضعيف ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤]. نفخ فيك الروح.

جلست تتربى في بطن أمك إلى قدرٍ معلوم، من الذي يُثبت الطفل في الرحم؟ الله إن شاء ربنا، أن تقذفك أمك وأنت في الشهر الخامس، أو السادس، وإن شاء ربك أن يتم حملها على خير إلى الشهر التاسع، الله الذي يفعل ذلك ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)﴾ [المؤمنون: ١٣]. ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣)﴾ [المرسلات٢٢- ٢٣]. وكما قال -تعالى-: ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الحج: ٥]. قد تستقر ستة أشهر، سبعة أشهر، ثمانية أشهر، المرأة التي تُجهض -بإذن الله-، التي يتماسك حملها يتماسك -بإذن الله سُبْحَانه وَتَعَالَى-؛ لأن الله قال: ﴿وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥]. وإن شئت أن ترى أصلك أذهب إلى الحضانات في أي مستشفى، ترى الأطفال صغار كالفراخ،

كالأرانب الصغيرة في الحضانات ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥]. تقوى شيئًا بعد شيء، ثم لتكونوا شيوخًا، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ [غافر: ٦٧]. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٠]. إذا كبرت خرفت، يعني وأنت صغير كنت تبول على نفسك، أليس كذلك؟ وأنت كبير كذلك، إذا رُددت أرذل العمر، ونعوذ بالله أن نرد إلى أرذل العمر أصبحت أيضًا تبول على نفسك، وأنت صغير تُخرف ما أن تستطيع أن تتقن الكلام، وأنت كبير كذلك، ابنك يقول لك يا أبا قم صلِّ، تقول يا ابني أنا صليت، أنت مش عارف صليت يا ابني الصبح، وهو الأن العصر تقول له يا أبي أنت صائم ما تاكلش، قال يا ابني أنا كلت، وهو واكل الآن، يخرف مرة ثانية، والطفل الصغير يسيل لعابه، الشيخ الكبير أيضًا لعابه يسيل، الطفل الصغير يمشي دادي واحدة، واحدة ويسقط ويقوم، الكبير كذلك، ينوء إذا ما رام القيام ويحملُ، لكن الفارق وأنت صغير الكل حريص على حياتك، ويذهبون بك الأطباء، وأنت كبير من قرابة أنفسهم يا رب ريحنا منه، يا رب ارحمه وريحه، فيدعون عليك عند الكبر من أنفسهم، وإن لم يبدوا لك ذلك، أمتى نرتاح؟ وأمتى يرتاح هو من هذا العناء؟ فهذا قولٌ في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤)﴾ [نوح: ١٤].

ومن الأقوال فيها، ومن الدلالات على قدرة الله، قف على باب المسجد، وانظر إلى الخارجين كلهم، قل للخارجين، انظر هل في شخص يشبه الآخر؟ لا تجد شخصًا يشبه الآخر على الإطلاق، أخرج إلى مكان أوسع إلى السوق، إلى المترو إلى أي مكان، فقط انتظر ثلاث دقائق، مهمتك فيها أن تنظر إلى وجوه القوم، هل وجوههم فيها وجه يشبه الآخر؟ فهذا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]. استمع إلى أصوات الخلق كلهم، لا تجد صوت هذا يشبه صوت ذلك، بل وأنت مغمض، تعرف من المتكلم؟ أحمد، أو محمد من الصوت، فسبحان من خلق وصور، فهذا قول ثانٍ في ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

والقول الثالث: في ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. التفاوت في العقول، هذا ذكيٌ في غاية الذكاء، وهذا مجنون لا يفقه شيئًا على الإطلاق، وهذا متوسط في الفهم، وهذا يضحك عليك وأنت تضحك عليه، تظن أنه المخطئ ويظن أنك أنت المخطئ، كلٌ ينتقص الآخر، فمن الذي جعل هذا التفاوت في هذه العقول؟ هذا يدلنا على شيءٍ كما قال رسولنا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ وبعد يقول: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: فإذا بلغ ذلك أحدكم فليستعذ بالله ولينتهي». كيف ذلك؟ أنا لي قدرة وأنت لك قدرة، هل إذا جبت الأخ وقلت له ارفع هذا يستطيع أن يرفعه، إذا قلت له ارفع عشرة كيلو يستطيع أن يرفعها، أرفع مية كيلو عجز، أليس كذلك؟ إذا قلت له ارفع بيدك طن، هل يستطيع؟ يعجز تمامًا، لي قوةٌ بدنية، لي قوة في النظر، أنا ممكن أرى إلى بعد ميت متر، مئتين متر، كيلو، لكن إذا قلت لي، أو لأحد الجالسين ما الذي ها هنا بعد عشرة كيلو لا يرى، كذلك أسمع لمدة أسمع عن قريب، إذا ابتعد شخص عني لم اسمعه، فلنا قدرات فكذلك عقولنا لها قدرات، لا تظن أن عقلي يسع كل شيء ولا عقلك، ودل على ذلك أن عقل الشاب ليس كعقل الطفل، هذا يستوعب أكثر، فلن تستطيع أن تحيط بالله علمًا، قال -تعالى-: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. فلزمك أن تقول ما علمك إياها رسول الله «إذا بلغ ذلك أحدكم فليستعذ بالله ولينتهي».

فهذا قول آخر في تفسير: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. قد خلقكم أطوارا فيها وجهٌ رابع، هذا ثمين هذا نحيف، هذا طويل هذا قصير، هذا أسود هذا أبيض، من الذي رزق الخلق هذه الأشياء؟ إنه الله -سُبْحَانه وَتَعَالَى- وهكذا في كل شيءٍ تجد التباينات والتفاوتات في الرزق، كذلك هذا غني هذا فقير، هذا مليونير هذا فقر متقع، هذا مسجون في الديون التي عليه تشكيلات وتوصيفات، ومن هنا نأتي على قوله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠]. كيف ذلك؟ الغني فتنة للفقير، كيف ذلك،

الغني الذي معه الأموال ويذهب يأكل وجبة كباب بمئة جنيه، أو بمئتين جنيه، الفقير مرتبه في الشهر ميت جنيه ومش لاقي شغل، قل يا رب لماذا أنعمت على هذا، ويرمي الأكل في الزبالة؟ وأنا ما أنا لاقي أكل يا رب، فيفتن ويحسد الغني على غناه، والفقير فتنة للغني يجده بملابس مقطعة يحتقره ويزدريه، فهذا يفتن بذاك، وهذا يُفتن بذاك، الجميلة فتنة للدميمة، الدميمة تقول يا رب لما أتيت بوجهي هكذا؟ أنفي كبيرة شعري أكرت، وجهي أسود، وتنظر إلى الحسناء وتحسدها، والحسناء تمشي هي الأخرى مفتونة بها تسخر منها، تسخر منها وتخرج لسانها من أجلها، فهذه فُتنت وتلك أيضًا فُتنت، وهكذا الزكي فتنة للغبي والغبي فتنة للزكي، القوي فتنة للضعيف والضعيف فتنة للقوي، قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾. هل ستصبرون على اختيار ربكم لكم؟ نقول: إن شاء الله يا رب نصبر على ما قدرته علينا، وعلى ما رزقتنا به يا رب العالمين.

بهذا القدر اجتزئ، وأُذكر نفسي وإياكم بأننا في أيامٍ طيبة مباركةٍ عليكم فيها بالإكثار من ذكر الله -سُبْحَانه- لكن فقط أنوه على أعظم فضيلة لذكر الله، أن الله يذكرك إذا ذكرته، قال -تعالى-: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة: ١٥٢]. وفي الحديث القدسي: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم». فأعظم منقبة لذكر الله أن الله يذكرك، تعرف إذا ذكرك الملك أو الرئيس في مجلس فقال: فلان رجل طيب وصالح، ووعد أنه سيعطيك خيرًا تفرح، فما ظنك برب العالمين؟ -سُبْحَانه وَتَعَالَى- فلذلك هذه الأيام محلٌ لذكر الله، فأكثروا من ذكر الله، قال -تعالى-: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]. بارك الله لنا ولكم في كتابه وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وإلى الإجابة على بعض الأسئلة:

س: يقول اشترينا بقرة، من رجلٍ مربيها في بيته، قال أنها بلغت عامين، وجدتها أقل من عامين، ماذا أصنع؟

ج: انظر هل كسرت أو لم تكسر، كسرت أفتح فمها وانظر إلى سنتين برزتا في فمها إن كانت كسرت فاذبحها، وإلا فلا، أقصد أسنانًا غير الأسنان اللبنية.

س: هل يجوز قسمة الميراث باتفاق الورثة ظاهرًا؟

ج: لا تفعل إلا إذا خشيت من وريث من الورثة شرًا، أكتب الأوراق وضعها مع شخص أمين، فالله أعلم من سيموت أولًا.

س: ما الحكم في أبٍ لا يعدل بين الأبناء؟

ج: إذا كان لا يعدل بين الأبناء يُنظر لماذا لا يعدل؟ هل هناك سبب؟ أو ليس هناك سبب؟ فمثلًا في الفلاحين مثلًا، ممكن أب يأتي ويقول: أنا كتبت لابني فدان أرض دون سائر الأولاد، قل له لماذا؟ قال: ابني هذا فلاح طول عمره معي في الأرض يفلح فيها، فأخوه الآخر كلية الطب، فالفلاح يشتغل والأموال التي يأتي بها يأخذها أخوه، فهذا تخرج ومعه وظيفة وهذا ليس معه وظيفة، فأنا إذا حسبت المال الذي أدخله علي الابن الفلاح، والمال الذي أخذه مني الطبيب، قلت لزامًا أن أعدل بين الأولاد، أعطي الفلاح كما أعطي الطبيب؛ لأنه لا يصلح أن أخذ من الفلاح وأعطي الطبيب، أكون ظلمته، فهل علي إثم؟

ج: نقول إذا كان كذلك، فلا إثم عليك، فتكون حينئذٍ هبة اسمها هبة مسببة، فالهبة المسببة تجوز، الهبة التي لها سبب، مثلًا رجل عنده بنتان، بنتٌ، عُقد عليها انكتب كتابها، وبنتٌ أخرى في المهد، وسيجهز عفشًا للبنت التي كتب كتابها، هل لزامًا علي أن أقول له من الآن أدفع تمن العفش للبنت الرضيعة؟ أو أن الأمر واسع؟ الأمر واسع في ذلك، أما إذا يكن هناك سبب فقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إني لا أشهد على جورٍ». والله أعلم.

س: يقول أنه كثير الكلام، طليق البصر محبٌ للنساء، كلما تبت رجعت؟

ج: استمر في التوبة، وخذ بالأسباب، وأنا ألفت النظر إلى أمرٍ أن من الخلق الكريم غض البصر، صح كده؟ حتى الكافر كان يغض بصره عن جارته في الجاهلية، كما قال عنترة:

اغـض طـرفي مـا بـدت لـي حتـى يـواري جـارتي مأواهـا

لكن كما هو معلوم، الأخلاق تنال بسؤال الله إياها، تقول يا رب اعني على غض بصري، وتنال بالتدرب عليها أيضًا، هذا إنني مثلًا، فنسأل الله لنا ولكم الإخلاص، نريد أن نكون مخلصين، نسأل الله الإخلاص أولًا؛ لأنه لن يتأتى إلا من عند الله، وهناك أمورٌ أتدرب عليها كي أكون مخلصًا، ما الأمور التي أتدرب عليها منها مثلًا: أقوم أصلي صلاة الليل بعيدًا عن زوجتي، بعيدًا عن أولادي، لا يراني أحد إلا الله فتقوى ملكة الإخلاص عندي، أخذ مالًا من مالي مثلًا وسرًا أذهب لشخصٍ فقير في بيته أعطيه المال دون أن يعرفني، أطرق الباب وأعطيه المال وانصرف، فلا يراني أحد إلا الله، فملكة الإخلاص تقوى عندي.

فالأخلاق الكريمة تنال بأمرين: سؤال الله إياها مع التدرب عليها، تريد مثلًا أن تتعلم الصبر، الصابر لم يصبر إلا إذا صبره الله ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. فأقول يا رب صبرني يا رب، ومع ذلك أتدرب على الصبر، من يتصبر يصبره الله، فإذا جاءت في رجلي شوكة لا أصرخ كالطفل، إنما استعين بالله وبدلًا من أه، أه، أقول الحمد لله الحمد لله، فأقلب الكلمات التي يقولها عامة الناس الذين قل فكرهم إلى خيرات، إذا مرضت والبطن متألمة، بدلًا من التأوه، أقول: الحمد لله صحيفتي تبيضت، فأتصبر، وأذكر أيضًا قصص الصالحين وقصص الأبطال في هذا الباب، باب الصبر أنا رأيت بعض الأطفال في اليمن أطفال صغار، المتدربين في البادية مع أهاليهم على معيشة البادية، الولد يطلع في رجله عافاكم الله خراج أو دمله، تعرفون الدمل، ممتلئة قيحًا وصديدًا قيحًا وصديدًا، طبعًا عندنا في مصر محتاجة طبيب، ومشرط، وميكرو كروم، ولفة وشاش، الولد يطلع على شجرة الصمت التي كلها شوك، وبرجله يزغ الشوكة في الدملة، خلاص فتح فتحتين تلاته في الدملة، ويقف على الشجرة بكل قوته، يتألم شوية

ويتصبر شوية، لكن بعد ذلك ينزف كل الدم ويجري على الأرض وانتهت القصة، رجله تنشف وتثبت، فمن يتصبر يصبره الله.

أريد أن أجلس بعد صلاة الصبح، حتى تطلع الشمس في هذه الأيام الطيبة؛ كي أُذكر الله، النوم يغالبني، لكن أقاوم وأتصبر، أقوم من الليل النوم يغالبني، والفراش وسِيد ودفيء، لكن أذكر: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]. فلا بد أن أتعلم الصبر، فالأخلاق الطيبة تنال بسؤال الله إياها، ثم بالتدرب عليها، وقراءة قصص الصالحين في هذا الصدد، والله أعلم. فتب أيها الأخ الكريم، ولا تيأس من التوبة.

س: هل لي أن أقرأ القرآن في الصلاة الجارية الفاتحة؟

ج: قولان للعلماء الجمهور، يقولون تسكت وقراءة الإمام لك قراءة، والإمام البخاري يقول: اقرأ وإن كان يقرأ الفاتحة، حديث: «ليس منا من لم يتغنى بالقرآن». موجود لكنه معلولٌ موجود في البخاري، لكن أعله الدار قطني بأن الصواب فيه «ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن أن يجهر به».

قال –تعالى–: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. معنى الآية، كثيرون من الناس يفهمون، وعلى غير وجهه الصحيح الذي عليه الأكثر، المعنى ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾. لا يحول نعيمه عليهم إلى عقاب إلا إذا غيروا حالهم من طاعةٍ إلى معصية، فتتحول النعم إلى نقم، هذا الذي عليه الأكثرون، فهم أخ من الذي ذُكر، أن الشخص لا عمل له ولا اختيار له، كلا؛ بل نحن نعلم أن الأمور كلها مقدرة، نعلم أن النصر مقدر، لكن: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]. ففي باب القدر أنا مؤمن ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]. ولكن في باب العمل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. أعرف أن الشفاء مقدر، ولن أُشفى إلا بإذن الله، ولكن «تداووا عباد الله، فما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء». أعلم كذلك أن الرزق مقدر، لكن أيضًا ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

[الملك: ١٥]. فآخذ بالأسباب مع الإيمان، كقولنا دائمًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البروج: ١١]. آمنوا أن الأمور مقدرة، وعملوا الصالحات، كما أمرهم ربهم، لا يتخلف هذا عن هذا، ليس معنى أن الأمور مقدرة أنك تتكل.

ويسوق مثالًا يذكره العلماء، واحد من الإخوة تزوج، أول ما تزوج قال لزوجته: قومي من الليل نُصلي، ربنا يبارك لنا في الزواج، فقامت تصلي، فقال لها بعد الصلاة يلا ندعو ربنا، يا رب ارزقنا ولدًا صالحًا وهى تقول أمين، ونام، لم يقربها، في اليوم الليلة الثانية نفس الموال، قومي نصلي ونام ولم يقربها، خشبة بجوار خشبة، شهرًا كاملًا على هذا الموضوع، الذرية مقدرة؟ نعم الذرية مقدرة، لكن ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فلن تأتي الذرية إلا بماذا؟ إلا بالجماع، والمعاشرة، فالعمل لا ينفك عن ماذا؟ عن الاعتقاد الصحيح، يقول لك قائل عند باب المسجد واحد معه مسدس يريد قتلك، أنا موقن أن الأمور مقدرة، لكن أيضًا من باب الأخذ بالأسباب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. واخرج من الباب الآخر، فآمنتُ إيمانًا صحيحًا، وعملت عملًا صحيحًا.

س: يقول هل من الممكن أن يكره الله عبادة عبد له فيثبطه؟

ج: نعم لا يكره عبادة العبد إلا بذنب يرتكب، فمثلًا ربنا ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]. أقول والله –تعالى– أعلم، أن الله قال في شأن قومٍ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]. يعني شاب قام من الليل كمثال، يجري وراء الفتاة هذه وتلك، وينظر في الفضائيات للمناظر القبيحة، ونام، أراد أن يقوم من الليل حُرم من قيام الليل بسبب ماذا؟ بسبب معاصيه، المنافقون الذين خرجوا للجهاد مع رسول الله يوم أحد، يوم أحد رجع عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الجيش بثلث الجيش، فالمسلمون قدر الله عليهم ما قدر فلما رجعوا إلى المدينة اختلفوا، نقتل هؤلاء المنافقين، أو نتركهم فقال –تعالى–: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾

[النساء: ٨٨]. يعني ماذا؟ الله حرمهم شرف الجهاد، مع الرسول بسبب نفاقهم بسبب النفاق، وكذلك قال -تعالى-: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]. فلذا من علماء السلف من يقول: إذا أنا تخلفت عن الطاعة، أخشى أن يكون الله غضب علي لذنوب ارتكبتها، فثبطني عن هذه الطاعة عقابًا لي، فيحاول أن يصلح من نفسه -والله أعلم-.

س: يقول بعض الناس يسألون عن العابد، الذي عبد الله طال عمره ثم مات على الفتنة وهو مشرك؟ وحديث المئة نفس ثم مات على التوبة؟

ج: الأعمال بالخواتيم كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بارك الله فيكم، وجزاكم خيرًا، وبلغكم الله عرفة والأضحى بكل خيرٍ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابـــــــــــــــــــــــــــط الخطبـــــــــــــــــــــــــــــة:

https://www.youtube.com/watch?v=GnHeLeNJQ١E&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=٥٠

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share